يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من
حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله باقامة الدليل والبرهان على ذلك وبظهور المعجزة الدالة على صدقه
لا ينافي ذلك لاحاد البشر وهو من اختصه الله بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال تعالى اخبارا
عن قوم نوح وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا يعني هم سفلتنا والاراذل الدون من كل شي قيل هم الحاكة والاساكفة
من كل شي واصحاب الصنايع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول
لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل الفقرا الخاملين وهم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنايعهم
اذا حسنت سيرتهم في الدين بادي الراي يعني انهم اتبعوك في اول الراي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا
ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الراي يعني اتبعوك ظاهرا من غير ان يتفكروا باطنا وما نرى لكم علينا من فضل يعني
بالمال والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهلا منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله بالايمان والطاعة
لا بالشرف والرياسة بل نظنكم كاذبين قيل الخطاب لنوح ومن امن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى
هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد وهو على سبيل التعظيم قال نوح قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من
ربي يعني على بيان ويقين من ربي بالذي انذرتكم به واتاني رحمة من عنده يعني هدى ومعرفة ونبوة
فعميت عليكم اي خفيت والتبست عليكم انلزمكموها الهاء عايدة الى الرحمة والمعنى انلزمكم ايها القوم قبول
الرحمة يعني انا لا نقدر ان نلزمكم ذلك من عند انفسنا وانتم لها كارهون يعني وهذا استفهام معناه الانكار
ولا اقدر على ذلك والذي اقدر عليه ان ادعوكم الى الله وليس لي ان اضطركم الى ذلك قال قتادة والله لو استطاع
نبي الله لالزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك قوله ويا قوم لا اسالكم عليه مالا يعني لا اسالكم ولا اطلب على تبليغ الرسالة
جعلا ان اجري الا على الله وما انا بطارد الذين امنوا وذلك انهم طلبوا من نوح ان يطرد الذين امنوا وهم
الاراذل في زعمهم فقال لهم لا يجوز لي ذلك لانهم يعتقدون انهم ملاقوا ربهم فلا اطردهم ولكني اراكم قوما تجهلون
يعني عظمة الله وجلاله وربوبيته وقيل معناه انكم تجهلون ان هولا المومنين خير منكم ويا قوم من
ينصرني من الله ان طردتهم يعني من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم عني لانهم مومنون مخلصون افلا تذكرون
يعني افلا تتعظون ولا اقول لكم عندي خزاين الله هذا عطف على قوله لا اسالكم عليه مالا والمعنى لا اسالكم
عليه مالا ولا اقول لكم عندي خزاين الله يعني التي لا يفنيها شي فادعوكم الى اتباعي عليها لاعطيكم منها وقال
ابن الانباري الخزاين هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوي عن الخلق وانما وجب ان يكون هذا جوابا من نوح عليه
السلام لهم لما قالوا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الراي فادعوا ان هولا المومنين انما اتبعوه في
ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا لهم ولا اقول لكم عندي خزاين الله التي يعلم منها ما ينطوي عليه
عباده وما يظهرونه وانما قيل للغيوب خزاين لغموضها عن الناس واستتارها عنهم القول الاول ليحصل الفرق
بين قوله ولا اقول لكم عندي خزاين الله وبين قوله ولا اعلم الغيب يعني ولا ادعي علم ما يغيب عني مما تزرونه في نفوسكم
فسبيلي قبول ايمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمايرهم الا الله ولا اقول اني ملك وهذا جواب لقولهم ما نراك الا
بشرا مثلنا ادعوكم الى الله وابلغكم ما ارسلت به اليكم **فصل** استدل بعضهم بهذه الاية في تفضيل الملايكة
على الانبيا قالوا لان نوحا عليه السلام قال ولا اقول اني ملك لان الانسان اذا قال انا لا ادعي كذا وكذا لا يحسن الا
اذا كان ذلك الشي اشرف وافضل من احوال ذلك القايل فلما قال نوح هذه المقالة وجب ان يكون الملايكة افضل منه
والجواب ان نوحا عليه السلام انما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك الا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم ان الرسل
لا يكونوا من البشر انما يكونوا من الملايكة فاعلمهم ان هذا الظن باطل وان الرسل انما يكونون من البشر فلهذا قال

ولا

ولا اقول لكم اني ملك ولم يرد ان درجة الملايكة افضل من درجة الانبيا والله اعلم قوله تعالى ولا اقول للذين
تزدري اعينكم يعني تحتقر وتستصغر اعينكم يعني المومنين وذلك انهم لما قالوا انهم اراذلنا من الرذالة وهي الخسة
لن يوتيهم الله خيرا يعني توفيقا وهداية وايمانا واجرا الله اعلم بما في انفسهم يعني من الخير والشر اني اذا لمن الظالمين
قيل يعني ان طردتهم تكذيبا لظاهر ومبطلا لايمانهم يعني اني ان فعلت هذا فاكون قد ظلمتهم وانا لا افعله فما انا
من الظالمين قالوا يا نوح قد جادلتنا معناه قد خاصمتنا فاكثرت جدالنا يعني خصومتنا فاتنا بما تعدنا يعني من
العذاب ان كنت من الصادقين يعني في دعواك انك رسول الله الينا قال انما ياتيكم به الله ان شا اي يعني قال نوح
لقومه حين استعجلوه بانزال العذاب وان ذلك ليس لهم انما هو الى الله ينزله متى شا وعلى من شا اذا اراد انزال العذاب
بكم وما انتم بمعجزين قيل معناه وما انتم بفايتين من العذاب ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم يعني ولا ينفعكم
انذاري وتحذيري اياكم عقوبته ونزول العذاب بكم ان كان الله يريد ان يغويكم يعني يضلكم وقيل يهلككم فلا تقدرون
على الخروج من سلطانه واليه ترجعون يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم ام يقولون افتراه اي اختلقه وجاء به
من عند نفسه والضمير يعود الى الوحي الذي جاءهم به قل ان افتريته اي اختلقته فعلي اجرامي اي اثم اجرامي والاجرام
بمعنى السيية واكتسابها يقال جرم واجرم يعني انه اكتسب الذنب وافتعله وانا بري مما تجرمون يعني من الكفر
والتكذيب واكثر المفسرين على ان هذا محاورة نوح عليه السلام على قومه فهي من قصة نوح وقال
مقاتل ام يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القران من عند نفسه
فعلى هذا القول تكون هذه الاية معترضة في قصة نوح ثم رجع الى القصة فقال تعالى واوحي الى نوح
انه لن يومن من قومك الا من قد امن قال ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا حتى يسقط
فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون انه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم الى الله ويروى
ان شيخا منهم جاء متوكيا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكني
من العصاة فاخذها من ابيه وضرب بها نوحا عليه السلام حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله اليه انه لن
يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتيس اي يعني لا تحزن عليهم في هلاكهم بما كانوا يفعلون يعني بسبب
كفرهم وافعالهم فحينيذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا تذر وحكى محمد بن اسحاق عن عبيد الله
ابن عمير الليثي انه بلغه انهم كانوا يبطشون نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية واشتد عليهم البلا وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا ياتي قرن
الا كانوا اخبث من الذي قبله ولقد كان ياتي القرن الاخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع ابايبنا واجدادنا
هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيا فشكى نوح الى الله عز وجل فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الايات
حتى بلغ رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله اليه واصنع الفلك جمع يطلق على الواحد والجمع
باعيننا قال ابن عباس بمراينا وقيل بعلمنا وقيل بحفظنا ووحينا وقيل بامرنا ولا تخاطبني في الذين ظلموا
انهم مغرقون يعني بالطوفان والمعنى لا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبني
في ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما هالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا فقال له ان ربك
يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول لك اصنع فانك باعيننا
فاخذ القدوم فجعل ينجر ولا يخطي فصنعها مثل جوجو الطاير وهو قوله تعالى ويصنع الفلك يعني كما
امره الله تعالى قال اهل السير لما امر الله عز وجل نوحا عليه السلام بعمل السفينة اقبل على عملها ونهاه
عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيي القار وكل ما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه

Copyright © King Saud University